4

الفاجومى

الغريب.. ابن فاطمة

- بعد موت أبويا علي ترك فراغ وكان فرصه لظهور الصراع بيني وبين «غريب ابن فاطمه».
- قالت لى أمى: أقطع لسان اللي يناديك باسم فؤاد ابن هانم.
- جدى بلع أملاك القصر وعوضهم في أملاك الدوله.

■■■

obeikan.com

obeikan.com

بعد مـوت أبويا على الشمروخ.. سـاب مطرحه فاضى تحت المنـجايه الهنديه فى جنينة البـيه الشـوادفى وساب حـسره فـى قلوب وعيـون محبينه.. خـصوصًـا إحنا الشبـاب اللى كنا دايمًا حواليـه.. نعاكسـه عشـان يشتمنا ونضـحك.. ونسأله عـشان يجـاوبنا ونفهم.. وكنا بنـلاقى فى حضنه الونس والدفـا اللى مـاكناش بنلاقيـهم فى البيوت.. من أول سراية العمده لحد أوضه ستك سعده الدايه.

الأحلى من دا كله والأمـتع كانت نوادره وتشنيـعاته الحـراقه الـلى كان بيـصبـها أساسًـا على دماغ العمـده والمشايخ وشـيخ البلد وشيخ الغـفر وشيخ الجـامع وشيخ المنسر اللى هو زى ما بيقدمه أبويا على:

– أبوعبد الله ولا غيره.. حرامى التـموين.. قليل الدين الضلالى مقطوع اليد اللى بالع العالم فى كرشه مساحه وقباله وبيبيع قوت الغلابه للحراميه عينى عينك.

كان أبوعبد الله صاحب محل البقاله الوحيد فى العزبه وكان مسمر غطا صندوق جزم كـرتون على باب المحل وكاتب عليـه بقلم كوبيـا بالخط النسخ «ممنوع الشكك قطعيًا بمناسبه الحرب».

والمدهش إن الساده الحـراميه اللى كانوا الهـدف المباشر لتشنيـعات ونوادر أبوكو على الشمروخ كانوا نشطين جدًا فى ترويج هذه التشنيعات

وهذه النوادر عن طريق الروايه والنقل.. يمكن عشان كل واحد فيهم يثبت للناس إنه مش هو المقصود بالكلام دا.

أمـا مـتـوسطى الحـال فكانوا بينقلـوا أخبـار ونوادر أبـويا على من باب التـعـالم والوجاهه شوف التفاهه.

بذمه النبى حصل إلى يومنا هذا جهاز إعلام مجانى بيشتغل بالكفاءه دى؟

أبويا على كان بالنسـبه لى شخصيًـا حضن دافى أمين.. على الأقل باستخـبى فيه

من بطش عبد العزيز أخويا الرهيب اللى كان نازل فىَّ ضرب عمال على بطال.

مره قال له قدام سراية العمده:

- إنت ياد يا عـويل يا هايف كل ما صرمـك يحرقك تعمل راجـل وتنزل ضرب وتلطيش فـى اخـواتك اليـتـامى؟.. طب مـاهم الحـرامـيـه اللـى كلوك إنت وأمك وإخواتك قدامك أهم.. ورينى شطارتك.. وإن كان فيك الله يعافيك.

راخر من يومها بطَّل يضربنى برا البيت خوفًا من أبويا على الشمروخ.

وكان أسعد لحظات أبويا عـلى الشمروخ هى اللى بنقضيها حـواليه واحنا بنسمع حواديتـه الجميله الغريبـه وخصوصًا حـدوته الجنيه الأميره بنت ملك الجـن لاحمر.. اللى عشقت أبوك على وهربت معاه ليلة دخلتها عـلى ابن عمها الأمير عيروض ابن ملك الجن لاصفر وشالت أبويا على - على ضهرها وحلت ضفايرها وقالت له:

- اتشعلق يا حبيبى.

وطارت بيه سبـع تيَّام بسبع ليالى ونزلوا سـوا فى القصر المسحور وقـعدوا ياكلوا لقمة المحاياه ويشربوا لبن العصفور اللى كانت الجنيه مخبياه فى صدرها بقت تشرب م البز اليمين وهو يشرب م البز الشمال لحـد ما كان فاضل له مصتين ويتلحس ويبقى من أهل تحت الأرض وتجوز له الجنيـه بشرع الله وسنه نبى الله سليمـان.. وإذ بالحيطه تنشق ويدخل منها الصـعصعـان وزير أبوها وحواليه الحـاشيه وعسكر الجن لاحـمر ويقبضوا عليهم وتصرخ الأميره:

- إقتلونى أنا وسيبوا حبيبى.

وإذا بالوزير الصعصعان ينزل بالكف على وشها ويقول لها:

- إخرسى يا فـ'جره.. (وييـجى يضرب أبوك على كف يروح أبوك على مـهيـفه فيضرب الهوا).. ويقوم العسكر بتكتـيف أبوك على ويغموه عشان مايشوفش حكيم الجان وهو بيكشف عليها وبعد فتره قلق يصرخ حكيم الجان:

- يا سليـمان يا نبى الله.. العـفو والسـماح.. صـاغ سليم يا مولانا الوزير.. لـسه

بختم ربها.. صاغ سليم شرف الجن لحمر.. صاغ سليم.

ويهيص عسكر الجن لاحمر ويرقصوا رقصه الشرف.. كل دا وأبويا على لسه متغمى ويشكل الوزير محكمه الجن فى لمح البصر ويصدروا الحكم الرهيب على لسان رئيس المحكمه:

– دم شرف بنات الجن لاحمر غالى.. وإنت صنت الغالى يا على يابن الإنسان.. عليك مليون أمان وأمان.. لا تلدغك حيه.. ولا تخطفك جنيه.. ولا يطرق سكتك سلطان ولا يلبس جتتك شيطان.. لكن جزاء فعلك الخسيس وعشقك لبنات إبليس حنرميك فى بقعه حفرا جفرا.. كتيرة الحركه قليلة البركه.. نسوانها بيحكموا على رجالتها وشبابها أميع من بناتها.. الفقر فيها صايع والحق فيها ضايع!

وراح مديله شلوت طار فى الهوا سبعين ساعه وساعه ونزل تحت المنجايه الهنديه فى جنينة جدى البيه الشوادفى.

دلوقتى خلاص راح أبويا على.. وتحرمى علينا يا جنينة البيه وإنتى يامنجايه هنديه خلاص.. مابقاش تحتك إلا الرماد فى راكيه النار اللى ماتت.. وكوز السلمون المصرى انكفى على وشه.. لاحس.. ولا خبر.. ولا روح.

ونقلنا ملاعب النهار وسهرات الليل للعلوايه.. قدام بيت الحاجه سنيه بنت عمى وأخت عبد الله تاجر التموين.

والعلوايه كانت ساحه واسعه رمليه بتفصل بين عزبه أبو نجم وعزبه القوادره المنتسبين لعبد القادر ابن بدره جارية سيدى البيه الشوادفى اللى اتجوزها وهى معاها عبد القادر لسه طفل وبعد كده خلف منها عبد الحميد وعبد المجيد وعطيه غير البنات اللى طلعوا كلهم بيض.. بينما أخوهم من الأم كان أسود فطلعت ذريته كلها سوداءُ من غير سوء.. وكان أبويا عثمان أبو سعيد غريمى فى الهوى مسميهم الملونين وكانت العلوايه مساحه أوسع وفرصه أكبر لتجمع عدداً أكبر من العيال أكتر من اللى كانوا بيتجمعوا تحت المنجايه الهنديه حوالين أبويا على.

وحصلت خلطه عجيبه على رمل العلوايه واتولدت التربيطات والتقسيمات اللى اتأصلت بعد كده فى القلوب والبيوت والغيطان.

الفقـرا من شبـاب أبو نجم التحـموا بشـباب القـوادره والسوالمه رغم تبـاعد الدم والسكن.. وكونوا جبهه موازيه لجبهه شباب أبو نجم الملاك، وبقت التقسيمه بوضوح ملاك ضد معدمين.

وطبعًا اندماجى فى جبهه المعـدمين ماعجبش أعمامى وأخوالى من آل نجم وكنت دايمًا أسمع اللوم والتوبيخ أينما توجهت:

- يا عويل يا هايف.. سايب بيوتك فى العزبه وقايم نايم عند العبيد.

لكن أمى الله يرحمها كانت بتشجعنى على الاندماج أكتر فى جبهه المعدمين.. ولما كانوا عمامى يسلطوا علىَّ دلدولهم عبد العزيز أخـويا كانت بتتصدى له.. مره قالت له:

- إن كنت يا خـايب يابو رياله فـاهم إنهم واقـعين فى هواك تبـقى بتـحلم.. وإن كنت منشن على جـوازه منهم حيطلع نقبك على شـونه.. وادى مقصـوصى اللى ما حدش علِّم عليه.

●●●

كان الفراغ اللى سابه أبويا على بموته فرصه لظهور الصراع بينى وبين غريب على زعامه العيال.

وغريب كان مندوه باسم أمه فـاطمه أم تهامى.. ودا مقصود بيه الإهانه والتـحقير لأن اللى بيتنده بـاسم أمه واحد من اتنين يا إمـا تربية أرمله يا إمـا تربية مره مـتسلطه وأب مسلوب الشخصيه وفى الحالتين:

- عمر المره ماتربى عجل ويحرت.

وأول مره أنا اتندهت بـاسم فؤاد ابن هانم من ولد كنت باضـربه، ولما سألت أمى عن الموضوع ده قالت لى:

- إمشى قطع لسان اللى يقول عليك كده.. دانت أحمد فؤاد ابن عزت أفندى على سن ورمح.. أنا صحيح مره لكن مقصوصى ده يسوى ميت شارب.

بعد كده كان أى عيل يقول لى العباره دى كان بيدفع التمن من صحته فوراً وأحياناً من منظره.

عمنا غريب بقى ماكانش بياخدها على إنها إهانه.. بالعكس دا كان مصدر فخره دايمًا إنه ابن أم تهامى!.. ليه بقى؟.. اسمع وصلى ع النبى:

- جدته أم أمه كانت خدامه فى سراية جدى الحاج عطيه الأخ الأكبر للبيه الشوادفى.. كان هو العمده وكان التليفون والعز فى سرايته ولما مات اتنقلت العموديه بتليفونها وعزها لسراية أخوه الأصغر محمد بك الشوادفى حامل عالمية الأزهر والحاصل على رتبة البكويه مرتين.. مره من الخديوى عباس.. ومره من الملك فؤاد فاعتبر نفسه باشا إلا ربع وأتارى ياخويا الرتب بتاعه زمان دى كانت بتحتاج لفلوس كتير لزوم الأبهه والمنظره.. وميراث جدى البيه الشوادفى عن أبوه مايكفيش خصوصًا وإنه كان هارى نفسه جواز وخلفه فبقى مسئول عن مؤونه جيش عرموم من الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات.. يقوم يشاء السميع العليم إن جدى أبو أبويا المدعو محمد أبو محمد أبو نجم يطلع هو الأخ الشقيق الوحيد لمحمد بك الشوادفى الأبهه.. فلما مات أبوهم.. استلم البيه الشوادفى حصته وحصة أخوه الأصغر محمد وعين نفسه وصى على محمد الصغير.

قوم إنت يا عم محمد يا صغير فوت عيِّلينك لحمه حمرا.. إبراهيم ١٥ سنه.. وعزت ١٣ سنه.. واطلع لى الحجاز عشان ترجع من هناك الحاج محمد.

لأ وكمان ما استكفاش بكده.. بسلامته بعد ماخد رتبه حاج وراجع بقى.. مات فى المركب ورموه مع الزباله فى البحر.. حاجه خرا يعنى.. هى برضه أصلها لما بتغفلق ما بدِّهاش.

وطبعًا جدى البيه الشوادفى بلع العيلين اليتامى خصوصًا بعد أمهم ما رمتهم وراحت اتجوزت وعلشان يخزى العين خدهم ع الجبل وقاس لهم أربعين فدان من

أرض الدوله وقال لهم:

- دول نصيبكم فى الميراث.. صلحوهم وخدوهم.

وحسب روايه أمى:

- فضلوا يبيعوا جزء ويصلحوا بحقه جزء تانى لغايه العباره ما صفصفت على سبع فدادين مستصلحين.

أبويا باع التلاته ونص تبعه واشترى أوتومبيلين واحد له هو والمدام اللى هى أمى والتانى للعيال اللى هما احنا واللى فضل من حق الأرض شبرق بيه ومنجه نفسه.. نيجى بقى للأوتومبيلين فيكتشف السيد الوالد الأهل إنه يحتاج لاتنين سواقين يمشّوا العجل وطبعًا دا مش فى مقدوره فباع الأوتومبيلين ورجع شبرق بيهم ومنجه نفسه تانى.. وفضلوا التلاته ونص بتوع أبويا إبراهيم ينزرعوا إلى يومنا هذا.

نرجع لغريب وجدته اللى كانت خدامه فى سراية العمده الحاج عطيه وكان جوزها بيشتغل معاها فى نفس الموقع كلاف.. يعنى مسئول البهايم لامؤاخذه وكان جدى الحاج عطيه أبو نجم نموذج للفحوله.. اتجوز تلتاشر وخلف حوالى خمسه وأربعين غير السقط واللى مات صغير!

وكان أفخم وأحلى مرا فى سجل الفحل المذكور هى الحاجه زينب آخر النسوان التلتاشر وأقواهم.. سيطرت على الفحل وهو بيلعب فى الوقت الضايع وكوشت على كل شىء لكن على رأى الرئيس السادات:

- بالقانون.

لأنها بالصلاع النبى استطاعت فى التمن سنين الأخارى من حياة الفحل إنها تجيب تسع عيال!

ومن النوادر اللى بتحكى ليومنا هذا إن الزميل الفحل مات والحاجه زينب حامل.. ولما جم يقسموا الميراث اختلفوا.. يحسبوا اللى فى بطنها ولد ولا بنت.. هى قالت:

- ولد.

وهما اللى هما ولاد ضرايرها قالوا:

- بنت.

واحتدم الخلاف وأخيراً لقيوا واحد عاقل نصحهم بالانتظار لحين الولاده.. ويوم الولاده حصلت المفاجأه الزينبيه.

الحاجه زينب جابت عطيه وعطيات.. شوف المرا؟

●●●

الحاجه زينب ليله فرحها جوزت خدامتها جده غريب لكلاف البهايم جد غريب برضه.. وفضلت الحاجه تخلف وخدامتها تخلف لحد ما زحموا البلد.

من اللى خلفهم تهامى الكلاف بنت اسمها فاطمه طمعت فيها الحاجه زينب وفضلت تربيها لغايه ما بقى عمرها ست سنين.. استلمت الشغل وصيفة الحاجه زينب شخصيًا ودا فى حد ذاته امتياز على سائر خدم السرايه تاكل فضلات الحاجه وتلبس قديم الحاجه وتعيش بجوار الحاجه.. كبرت البنت بسرعه وخراط البنات خرطها ودارت واستدارت واتقسمت ورا وقدام وطرح الرمان على صدرها وطاب واستوى وطلب الأكال.

فى هذه الأثناء كان أبويا عثمان أبو سعيد مرمى فى السرايه عليل.. كان عنده شلل من نوع غريب.. المفروض الشلل النصفى بيبقى يا إما فوق.. يا إما تحت.. لأ.. دا بقى كان عنده شلل نصفى بالطول وياريت مثلاً الشلل ضارب نص يمين أو شمال.. دا كان إيده اليمين ورجله الشمال هما اللى مشلولين يعنى متكتف تكتيفه مخبرين وسبحان الله - له فى ذلك حكم!.. لأن اتضح بعد كده إن المذكور يستاهل كل خير وإن التكتيفه دى شويه على معروفه كان دا هو الأكال اللى طلبه رمان صدر الوصيفه فانتهز أول فرصه اختلى فيها بفاطمه أم تهامى وقزح عليها زى طور الطلوقه وتحبل البنت الخدامه ويستندل الفاعل وتستندل الحاجه زينب زى أفلام

المرحوم حسن الإمام وعشـان يداروا الفضيحه جابوا جثه راجل مـريض مرميه جنب الجامع واسمها سيد أيو يوسف وكتبوا على فاطمه وهى حامل باسم سيد أبو يوسف مريض الجـامع وتصمم فـاطمه إنهـا تسمى المولود «الغـريب» وقبل ما تسبِّع الوالده يطردوها برا السـرايه.. وتعـمل فاطمـه من حـضنها سكن لجـوزها المريض وطفلهـا الغريب اللى أصبح ابنها وجوزها وأخوها وأبوها.

اشتغلت فى البيوت والغيطان بإديها وسنانها عـشان تربى الطفل وتعالج المريض ويكبر الطفل ويطلع متعلق بأمه ودود وحنين مع أبوه المعلن سيد أبو يوسف وبيعامله بمنتهى الاحترام زى ما اتعلم من فاطمه العظيمه.

وتروح الأيام وتيجى ويستمر القدر فى هزاره الثـقيل البايخ ويشاء السميع العليم إن مريض الجـامع يعيش ويشـوف بعنيه الإنسانه اللى حـافظت عليه وعـاشرته بكل الحنان والحب وهي جثـه بلا روح.. يعيش سيـد أبو يوسف ويشوف فاطمـه الحبيـبه وهى بتموت!.. كانت أول مره نسمع فـيها صوت أبويوسف.. فضل يبص لها ويئن ودموعه نازله تسح وبعدين عوى زى الديب وشق الجلابيه اللى ساتراه نصين وصرخ من بين دموعه:

– الله يجـازيك يا مـوت.. يا عريس الحلـوين «ورجع سكت لحـد ما مـات».. أنا كنت حاضر لحظات احتضار فاطمه أم تهامـى وسمعت آخر كلامها للغريب.. قالت له وهو واخدها فى حضنه وبيسقيها الدوا:

– أنا عارفه ياخويا مجروح وموجوع.. حقك علىّ أنا يا غريب حقك على راسى يا خـويا.. ولـو إنت بتـحب أمك صـحـيـح.. دير بالك على أبوك السـيـد عـشـان خـاطـرى.. دا غلبـان لا بـإيده ولا بالمنجل.. داهو حـتى اللى سـمـاك الغـريب.. حتوحشنى يا غريب.. قلبى وربى راضيين عنك يابنى.. دير بالك على روحك ياحبة عين أمك.

●●●

وشلنا خالتى فاطمه أم تهامى على كتافنا تلاته كيلو عشان ندفنها فى جبانة الشيخ

عثمان فى العباسه كانت خفيفه زى الريشه.

وصلنا بأمان الله وفتحنا القبر وقبل مانزلها خدها غريب بالكفن فى حضنه وباس الكفن وملس عليه بحنان وناوله للتربى وهو بيقول له:

– سمى عليها يا عم محمود.. اسم الله عليكى يام الغريب.. حتوحشيني يامه مع السلامه.. مع ألف سلامه ياختى.

وصدرت عنه زفره مرعبه قبل ما يدير وشه عننا ويقول بصوت مخنوق:

– الله يجازيك يا موت.. يا عريس الحلوين.

■■■